من ذكريات مصر

ساعات مع الكاظمي

للأستاذ كمال ابراهيم

مات الكاظمي ! فطويت بموته للعبقرية صفحة زاهرة ، كانت سامية المثال ، علوية الروح ، عراقية النشأة ؛ نمت نبتتها متسقة الأصول على دجلة المبارك ، وعلت دوحتها مبسوطة الأفانين على ضفاف النيل السعيد ؛ وما زالت تصوب إلى السماء صعداً حتى اجتاحها للمنية اعصار شديد ، فجالدها أعواماً ، وغالبها أياماً ، حتى هوى بها من باسق الذرى إلى الأرض ، حيث النهاية التي لا تراغم ، والقدر غير المدفوع

مات الكاظمي ! فسكت لسان عربي مبين ، كان فخر لغة الضاد ، وحادي الأبناء إلى المجد ، وباعث العزائم في الخطوب السود ؛ وكان لسان العروبة الناطق بحقها في حياتها ، ومخذمها المذرب عند الخصام ، فكم ذاد عن الحسب الكريم ، ونافح عن الحق المهضيم ، وتغنى بالمجد القديم ، يوم لم نكن نجد في هذه الأمة إلا الخافر لذمتها ، والمنتهك لحرمتها ، والكافر بنعمتها ، والمظاهر لأعدائها عليها

والهفتا على العروبة المهضيمة ! لقد أخرس الردى شاعرها الصيداح ، فاشتملت بالأسى أباطح الحجاز ، وصوحت أزاهير اليمن الخضراء ، وحالت ربى حائل والرياض ، وجلل السواد سواد العراق ، وفاضت عيون النيل ، وجرت باكية معولة عيون الشام وعاجر لبنان ، ترجع أنغامها الحزينة بنات الهديل بين لفائف الأغصان . .

كان الشعر العربي قد بلغ من الاسفاف الحضيض ، فمدت به عن مجاراة الحياة أثقال تلك الصناعة المقوتة التي حملها اياه شعراء الفترة المظلمة ، وضيقت عليه الخناق تلك القيود المحكمة من زخارف اللفظ وبهارج البديع وأفانين الصناعة ، حتى أخرجته عن طبيعته ، وزاغت به عن سمته ، فجاء متكلفاً نابياً ، وغثاً بالياً وجامداً بغير روح ، لولا ذماء ضعيف يشعر ببقية الحياة . كان الشعر كذلك ، وكانت البيئة الأدبية في العراق متأثرة كل التأثر بشعر (الأخرس ، وصالح التميمي ، والشاوي ، والحبوبي ، وأضرابهم) حتى أتاح القدر للشعر من نفخ فيه من روحه ؛ فأطلقه من عقاله ، وأنهضه من كبوته ، وسما به صعداً الى السماء يرف بجناحين من نور ، بعد أن كاد يحثى عليه التراب في حفير مظلم عميق ، وكفى الكاظمي سبقاً أنه بذ المتأخرين ومعظم المتقدمين في ارتجال الشعر من غير كلفة في أي غرض ، تستقيد له شوارد القوافي بديهة حاضرة ، وذاكرة نادرة ، وحافظة وعيت من شعر الأولين عيونه ، وما أجدر شاعرنا أن يكون لسان حاله ما قال (ابن هانئ الأندلسي) عن نفسه :

ما ضرني إن لم أجئ متقدما ... السبق يعرف آخر المضمار
وإذا اغتدى ربع البلاغة بلقعاً ... فلرب كنز في أساس جدار

وكما كان الكاظمي السابق في حلبة البيان ، كان كذلك علو كعب في ميدان الجهاد والاصلاح . عُرفت منه هذه النزعة وهو طرير لم يكتهل ، وغرير لم يعجم حوادث الزمان ، فكان صوته في الاصلاح يرن في مجتمعات بغداد ، ولكنه كان قليل العائدة ، حتى قدم الزوراء إذ ذاك رجل الاصلاح المشهور (الشيخ جمال الدين الأفغاني) فوجد شاعرنا فيه ضالته ، فكان من أشياعه ، فضاقت عليه البلاد بما رحبت ، وقذفت به نوى شطون ، شرق فيها وغرب ، حتى احتضنته (مصر) ؛ فألقى بها عصاه

وبوادي النيل الجميل حيث القوة تصارع الحق ، والظلم يناهض العدل ، والحرية تنتحب ، يأبى الكاظمي إلا الصدع بالحق ، فيقارع الاستعمار ، ويتغنى بالحرية ، ويشيد بمجد العرب الضائع ، حافزاً للأبناء على استرداد ذلك المجد ؛ وخلصت له في مصر صفوة ممتازة من أعلام البيان وقادة الفكر وزعماء الأمة ، عرفوا له فضله ، فصدقوه الولاء ، وأحلوه السويداء . واستوثقت الصلات بينه وبين (الوفد المصري) فكانا لساناً من ألسنته مشرعاً لا ضد حزب من الأحزاب ، ولكن ضد سياسة الاستعمار فحسب...

عرفت الشيخ الكاظمي أول هبوطي مصر (عام ١٩٢٩) فكنت أسأل عنه من أتعرف اليهم ، حتى أرشدني (محرر بالأهرام) إلى داره في (مصر الجديدة) فذهبت اليه في لمة من الاخوان ، جئنا اليه من بلده ، ومسقط رأسه . فما كان أشد ابتهاجه بنا ، وطربه بمقدمنا ، لقد استعاد بتلك الزيارة ذكريات ماضيه حلوة في العراق . فكان رحمه الله يحدثنا عن أيامه تلك بشوق واقبال ليس فوقهما مزيد

وقد كانت داره مصاقبة لدار أستاذنا المرحوم (الشيخ محمد عبد المطلب) وكانت بينهما صلة وثيقة ، وصداقة قل أن تعرف

بين الأصدقاء ، فكنت أقصد (مصر الجديدة) في الغالب لزيارة الشيخين وتجديد العهد بهما ؛ فأقضي ساعات هي أمتع ما تكون للنفس ، وأشهى ما يلذ للعقل ، ويقرأ عليّ شاعرنا ما استجد له من شعر

ما أنس لا أنس تلك الايام السعيدة التي كنت أخرج فيها مولياً وجهي شطر (هليوبوليس) يحدوني الشوق الى تلك المبقرية الفياضة ، والصفحة النادرة ، والشخصية الفذة ، فأجلس الى الشاعر ، أتلقف من حكمته ، والتقط من درر فوائده وجواهر قرائده ، وشاعرنا محدث كما هو شاعر ، يهدر كالسيل إن أفاض في الحديث ، يصله ببعضه ، ويزين مجلسه بطرائف الأخبار ، وروائع الحكم ، وأوابد اللح والمفاكهات ؛ فلا تكاد تسأم له لهجة ، ولا تمل منه لغة . وكان — رحمه الله — حريصاً على أن يكشف لنا عن صفحات القضية العربية في عهدها الأخير ويجردها بنير طلاء ، ويجلو لنا حقائق التاريخ ناصعة غير مموهة ، ويبث فينا من روحه لمواصلة العمل والجهاد . . .

لقد كان شاعرنا ذخراً لأمته ، ولكنه كان مضاعا تنكر له وطنه الأول كما تنكر له دهره ، وظل وفياً لهذا الوطن يلاحى عنه بمهجته ، على حين لم يجد منه طوال حياته غير الجفاء ونكران الجميل ، ظل وفياً له حتى قضى نحبه . فلما قضى نحبه جئنا بعده نذرف الدمع عليه نادمين . . .

فاذهب كما ذهب الوفاء فانه ... عصفت به ريحاً صبا ودبور

(بغداد)

كمال ابراهيم
خريج دار العلوم

تصحيح والفات نظر

طلعت « الرسالة الغراء » في (العدد ١٠٣) على قرائها بمقالة ممتعة في تحليل شخصية الامام للؤرخ (السخاوي) بقلم الأستاذ المؤرخ السيد محمد عبد الله عنان ، فكان من حق الأستاذ علينا أن نشكر له مباحثه الدقيقة ، ومن فرض العلم علينا أن نبين للناس هفوات قلم طامين بهفوه ، لما اشتهر عنه من سعة علمه وعظيم حلمه

أورد الأستاذ في آخر مقاله المذكور أن صاحب (شذرات الذهب) يضع وفاة السخاوي (في مكة) . وهذا سهو من الأستاذ لأن عبارة (شذرات الذهب) هي بحروفها : (وتوفي — بالمدينة — المنورة يوم الأحد الثامن والعشرين من شعبان ، وصلي عليه بعد صلاة صبح يوم الاثنين ووقف بشبه قبلة الحجرة الشريفة ودفن بالبقيع بجوار مشهد الامام مالك) ج ٨ ص ١٧

فانكشف بهذا النص للفضل الموافق لمحفوظ غير واحد من ثقات المؤرخين أن من أرخ وفاته في مكة فقد وهم ، وجل من لا يغلط

نزيل القاهرة — محمد آل ناصر الحسيني

دراسات في الادب الانجليزي

المذهب الواقعي وفن الدرامة[1]

بقلم محمد رشاد رشدي

في المسرح الاغريقي : أول ما يتبادر الى ذهن الباحث في هذا الموضوع أن يُنقّب عن الواقعية في عناصر الدرامة الثلاثة : في الموضوع والأشخاص والأسلوب . غير أن نسبة الواقعية في كل من هذه الأجزاء قد تختلف نظرياً — أي فيما يكتبه نقاد العصر عن الفن المسرحي — عما يباشر عملياً فوق مسرح العصر . ولذلك رأينا من الأوفق في معالجة هذا الموضوع أن نلقي نظرة سريعة على النقد المسرحي نتبعها بمطابقة هذا النقد للمسرح نفسه . والناقد الوحيد الذي نستطيع الاعتماد عليه في حديثنا عن المسرح الاغريقي هو أرسطو . .

كتب (أرسطو) في رسالته عن الشعر يتحدث عن الواقعية في الموضوع قال : « يتضح مما سبق أن مهمة الشاعر هي أن يصف — لا الشيء الذي حدث — بل الشيء الذي من المحتمل وقوعه — أي ما قد يكون ممكنا أو ضرورياً » . وعلى هذا فوحدة الموضوع إنما تنشأ من مبادئ الواقعية الأساسية ؛ فحوادث القصة يجب أن يتصل بعضها ببعض اتصالاً ممكناً أو ضرورياً تحتمه ظروف القصة نفسها وجوها الخاص بها . وكتب هذا الناقد عن أسلوب القصة المسرحية ، قال : « يمكننا الآن أن نرى أن على الكاتب أن يخفي نفسه حتى يستطيع أن يتحدث طبيعياً لا صناعياً » . ومن الجدير بالذكر هنا أن الأثر الذي يحدثه أسلوب (شكسبير) على المسرح لا يختلف واقعياً عن الأثر الذي يحدثه أسلوب (أوسكار وايلد) — أو (كونجريف) أو (شريدان) أو (برناردشو) . أما عن شخصيات الدرامة فقد قال أرسطو : « من البدهي أن أشخاص القصة إما أن يكونوا أشخاصاً صالحين أو طالحين — ويتبع هذا أن بطل القصة إما أن يكون فوق مستوانا الخلقي والاجتماعي ، أو تحت

(١) رجعنا في هذا البحث الى رسالة الأستاذ ا . هـ . دافيز ، التي حاز بها جائزة Le Bas لعام ١٩٣٣ من جامعة كيمبردج